صلاح حافظ (٢)

فى أحد اجتماعات اللجنة المركزية المؤقتة طرح أحد الجالسين أن شخصا ما اتصل به وقال إن جهة أجنبية ما ترفض الافصاح عن نفسها مستعدة لمنحنا تمويلاً ضخما بشرط أن نصعد من هجومنا على جمال عبدالناصر.. ورفضنا بالاجماع وبعدها طلبت سيجارة من أحد الجالسين، واكتشفنا جميعا أنه ليس معنا سجائر وليس معنا مليم ومع ذلك صممنا على قرارنا بالرفض لأى معونة أجنبية.
صلاح حافظ (فى حواره معى)

وجاءت ثورة يوليو. وكان بعض قادتها وخاصة عبدالناصر معجبين بهذا الصحفى الشاب صاحب «انتصار الحياة» ولم يكونوا قد اكتشفوا انتماءه الفكرى، وفتحوا أمامه صفحات مجلة «التحرير» وكان يرأس تحريرها أحمد حمروش (وكان أيضا ضمن الضباط الشيوعيين فى الجيش) ويتألق صلاح أكثر فأكثر لكنه هو وحدتو ما لبثوا أن تعالت مطالباتهم بالديمقراطية، وتغلق مجلة التحرير وتبدأ الحملات الشرسة ضد حدتو وتتوالى حملات القبض وفى أغسطس ١٩٥٣ كانت أوسع حملة قبض فى تاريخ الحركة الشيوعية، لكن حدتو واصلت رغم الحملات المتتالية ثم كانت حملة كبيرة أخرى فى ديسمبر ١٩٥٣ شملت عشرات من الكوادر ومنهم آخر من تبقى من أعضاء اللجنة المركزية (أحمد طه - محمد خليل قاسم) وأعضاء عديدين من التنظيم ومن رابطة الطلبة الشيوعيين وتنفس عبدالناصر عميقا فقد تخلص من هؤلاء الذين أرهقوه بالمطالبة بالديمقراطية لكن صلاح حافظ (الرفيق دبوس) التقى رفيقين آخرين محمود توفيق وإبراهيم خلاف وشكلوا معا ما سموه اللجنة المركزية المؤقتة.

وكان محمود توفيق وإبراهيم خلاف محترفين ومختفيين عن أعين البوليس أما صلاح فقد وجد نفسه عبئا عليهما بمهنته كصحفى فى روزاليوسف، يعيش علنيا ويذهب للجريدة يوميا بما يهدد أمن رفيقيه، وببساطة اختفى وترك المهنة التى أحبها والتى ضحى من أجلها بمواصلة

دراسة بكالوريوس الطب وضحى برضاء الأب واتخذت اللجنة المركزية المؤقتة خطاً شديد التشدد فى مواجهة العسف الناصرى، وكلما ازداد النظام تعسفا كلما إزدادوا هم تشدداً، وبرغم كل شىء نجحت القيادة الجديدة فى توسيع نشاطها وزادت من عضوية حدتو وجمعت كثيرين من الأعضاء القدامى وأصدرت عديدا من المطبوعات، لكنها كانت فى هذه المرة الأكثر أناقة وجمالا انها لمسات الصحفى الفنان. ونجح الرفيق دبوس ولأول مرة فى اصدار نشرة «الكفاح» مزينة برسوم كاريكاتيرية وبورتريهات وقفشات لاذعة وتمادى الخط السياسى فى التشدد حتى وصل إلى فكرة الكفاح المسلح ضد الدكتاتورية العسكرية، ويروى صلاح فى حواراته معى وهو يضحك «أصدرت قراراً للرفاق بشراء سلاح أو جمعه من أى مكان وكانت الحصيلة تقريبا لا شىء وذات يوم أتى كمال القلش إلى أحد الاجتماعات ومعه طبنجة محلية الصنع، كان شكلها بائسا ولكن المشكلة الأكبر أن كمال نسى أو لم يجد ذخيرة للطبنجة ومع ذلك ظللنا نحلم بالكفاح المسلح» ويصمت ثم يقول «المشكلة اننا كنا مفلسون تماما، وكنت أبعث من حين لآخر إلى زملائى فى روزاليوسف بواحدة من «انتصار الحياة» وتأتينى منهم قروش هزيلة وأسال نفسى هل أرسلها إلى زوجتى وابنى شريف وابنتى المولودة حديثا تحية أم أشترى طعاما لى وكام علبة سجاير، وأرسل النقود لزوجتى واعيش «خرمانا» حتى ألتقى رفيق وأطلب سيجارة وأخرى ثم ثالثة. وفى هذا الوقت حاولت جهة أجنبية أن تدفع لنا مالا طائلا نظير تصعيد نضالنا ضد عبدالناصر، وقررنا ان نصعد نضالنا وأن نرفض أن نمد يدنا لأى جهة أجنبية وعشت خرمانا»، وأخيراً طالتهم يد الأمن ولكن بعد أن استقام عود حدتو من جديد، وفى المحكمة كان الرفيق دبوس يتألق وعاد صلاح حافظ الهادىء المبتسم واللاذع فى آن واحد ولقن القضاة دروساً فى الوطنية والديمقراطية وحكم عليه بالسجن ثمانى سنوات اشغال شاقة ومن سجن إلى سجن حتى التقينا فى الواحات وفى السجن كان صلاح الأكثر تألقا يلقى محاضرات، يدرب الرفاق على الكتابة والعمل الصحفى ويمتع السجن كله بأغان جميلة ونكت رائعة وكان فى نفس الوقت يعكف على كتابة رواية طويلة أسماها «الرحلة» لكن المأمور الذى أغاظه صلاح بقوله نحن ننتصر عليكم وعلى من أرسلوكم ظل يتلصص على صلاح وفيما هو يتم روايته اقتحم الخيمة فجأة وأخذ المخطوطة وأسرع بها إلى مبنى الإدارة وقبل أن يلحق رفاق يسترضونه ليحصلوا على الأوراق كان قد أحرقها. ولم يغضب صلاح ودخت عليه لأواسيه فوجدته قد أحضر كشكولاً وبدأ فى كتابتها من جديد وقال وهو يبتسم إشكر نيابة

عنى هذا الرجل فأنا سأكتبها أفضل مما كانت. وقد كان. أتم الرواية ونسخناها على ورق البافرة وتم تهريبها إلى الخارج. لتطبع بعد فترة طويلة ولتتحول إلى فيلم بذات الاسم وبعد فترة نقلونا إلى سجن جديد «المحاريق» فى الصحراء أيضا لكنه مبنى من عنابر وزنازين. وأوامر ونواه وذات يوم وبدون مناسبة أتى المأمور ورجاله وضربوا الجميع ضربا مبرحاً ووحشياً. وأغلقت الزنازين بعد حفلة تعذيب وحشى بعدها استفسر أحد الزملاء من المأمور «لماذا؟» فأجاب ببساطة «أبداً لقيت نفسى زهقان فقلت أتسلى». كان المأمور قد ترك زوجته وطفليه الذين أتوا لزيارته فى الاستراحة الخاصة به والولدان وجدا علبة دواء للضغط فابتلعا ما فيها وأوشكا على الموت وأتى المأمور باكيا. ولم يجد سوى صلاح وعدد من الأطباء أسرعوا وأنقذوا الطفلين وأصبح المأمور شخصا آخر بعد سهر صلاح أياما مع الطفلين حتى شفيا تماما. وذات يوم جاءته مع إحدى الزيارات رسالة تقول كامل الشناوى التقى عبدالناصر وطلب من الرئيس الافراج عن صلاح.. وتباسط الرئيس وقال حاضر ياسيدى سيخرج علشان خاطرك وبعد أشهر ونحن فى الانتظار للإفراج الذى لم يأت جاءت رسالة بالبريد من كامل الشناوى تقول فى تهكم «ياولد يامجرم مش عيب تخرج من السجن وماتقوليش» وعرفنا فيما بعد الحكاية فقد التقى كامل الشناوى الرئيس ثانية وقال له: ياريس حضرتك نسيت موضوع الافراج عن صلاح فرد عبدالناصر خرج. وحاول كامل بك أن يقول أنه لم يخرج لكن عبدالناصر شخط فيه «بقول لك خرج». وسكت كامل الشناوى.

ويخرج الجميع فى ١٩٦٤ ونلتقى معا فى «أخبار اليوم» وتتوثق علاقاتنا أكثر.. وتفرقت سبلنا هو إلى رزواليوسف وأنا مطروداً مع من طردوا بعد إبعاد خالد محى الدين من أخبار اليوم، وفيما نبدأ فى إصدار الأهالى كان صلاح أول اسم يخطر ببالنا ابتسم صلاح وقال بصراحة لو لم تعرضوا على كنت سأغضب جداً، لكننى أعتذر فأنا ملتزم ومرتبط باسم روزا. وفيما كنت سجينا بعد أحداث يناير ١٩٧٧ نشر صلاح مقالا ساخنا جدا دفاعا عنى، وغضب السادات وبعد الافراج زرته لأشكره فثار غاضبا غضبا مجنونا كيف تشكرنى يابنى آدم. وحاولت ان أصالحه لكن لا جدوى فقد غضب ولم نتصالح إلا على فراش المرض. زرته قبل رحيله بيوم ضحك واهنا وقبلنى وقال حقك على. وشد على يدى قائلا شدوا حيلكم. ورحل.